



اللوهية القضاة

إن من خصائص الإلهية القضاة ، فالله عز وجل هو الذي يقضي بين العباد في الدنيا والآخرة ، ولا يجوز مطلقاً أن يتدخل أحد كائن من كان و يغتصب صفة من صفات الله عز وجل ، ولا خصيصة من خصائص الإلهية ويكون قاضياً يقضي بين الناس إلا بما يقضى به رب الناس ، وهو الشعاع المنزل على سيد الناس ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

تعريف القضاة

القضاء لغة : كلمة القضاء مصدر ، جمعها أقضية ، و فعلها قضى يقضي قضاء أي حكم.

وفي القاموس : القضاء ممدود ومقصور ، وقضى عليه قضاء وقضياً ، ورجل قضي : سريع القضاء ، واستقضى : صار قاضياً

والقضاء لفظ مشترك بين عدة معان ، ويستعمل بعدة استعمالات ، منها:

الأمر والحكم والإلزام والأداء والإنهاء والتبلیغ والهلاك والفراغ والمضي والصنع والتقدیر وتعجیل العقوبة والمجازاة من خير أو غير ذلك

القضاء شرعاً : تتفق التعريف الاصطلاحية للفظ القضاء عند العلماء في كونه إلزاماً بحكم الله تبارك وتعالى ، أو إظهار الحكم في الواقع ، أو فصلاً بين الخصومات ، أو حكماً بين الناس بالحق والعدل.

بيان التعريفات:

- إن القضاء هو الإخبار عن حكم الله تعالى في القضية والدعوى ، وإظهار الحق المدعى به بين الخصميين ،¹ فالقاضي مخبر عن الحكم الشرعي ، ومظهر له ، وليس منشأً لحكم من عنده ، ومثله في ذلك مثل المفتى
- إن حكم القاضي ملزم للطرفين ، وإن إخباره بالحكم يكون على سبيل الإلزام للطرفين بتتنفيذه ، والوقوف عنده ،² وهذا ما يميز القاضي عن المفتى ، وكذلك عن المحكم ، وهذا الإلزام مستمد من السلطة القضائية التي تعتبر جزء من سلطة الدولة.
- أن الغاية والهدف من وجود القضاء في فصل الخصومات وقطع المنازعات ، بتطبيق أحكام الله تعالى التي أنزلها³ في الكتاب والسنّة ، بالنص أو بالاجتهاد ، بالعبارة أو بما تشير إليه النصوص مما بينه الله تعالى ، أو أحال عليه من بقية المصادر الشرعية التي تسعى لإقامة شرع الله تعالى لإصلاح الفرد والمجتمع.

أهمية القضاء:

القضاء جزء من أجزاء الشريعة الإسلامية ، وباب من أبواب الفقه الإسلامي ، ويهدف القضاء إلى إقامة العدل ، وتحقيق القسط ، وحفظ الحقوق والأموال والأنفس والأعراض (المصالح الخمسة) ، وحماية الحقوق العامة ، وتطبيق أحكام الشرع وأدابه ، ويقيم حدود الله تعالى ، ويصون القيم والأخلاق ، ويمنع العداوة والظلم والبغى بمختلف أشكاله وصنوفه.

قال ابن القيم : " إن الله أرسل رسله ، وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات

، فإذا ظهرت أمارات العدل ، وأسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه" انتهى

مشروعية القضاء في الإسلام:

القضاء في القرآن الكريم

وردت مادة (**القضاء**) في القرآن في ثلاثة وستون موضعا تدور حول عدة معان منها :

البقرة : 200 (فإذا قضيت مناسككم) : قال تعالى

آل عمران : إذا قضى أمرا فإنما يقول لهكن فيكون) : وقال تعالى

النساء : 103 (فإذا قضيت الصلاة) : وقال تعالى

الأنعام : 2 (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا) : وقال تعالى

الأنفال : 42 (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) : وقال تعالى

يونس : 47 (فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط) : وقال تعالى

الإسراء : 23 (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيمَانَهُ وَبِأَوَالِدِيهِنَ إِحْسَانًا) : وقال تعالى

(مريم : 21 ول يجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) : وقال تعالى

(مريم : 71 وإن منكم إلا واردها كان على ربكم حتما مقضيا) : وقال تعالى

القصص : 15 (فوكزه موسى فقضى عليه) : وقال تعالى

القصص : 29 (فلما قضى موسى الأجل) : وقال تعالى

القصص : 44 (وما كنت بجانب الغري إذ قضينا إلى موسى الأمر) : وقال تعالى

غافر : 20 (والله يقضي بالحق) : وقال تعالى

فصلت : 12 (فقضاهن سبع سمات في يومين) : وقال تعالى

(الزخرف : 77 ونادوا يا مالك ليقض علينا ربكم) : وقال تعالى

القضاء في السنة النبوية

- عن جابر ، قال : لما رجعت مهاجرة البحر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا تحدثنوني بأعجب ما رأيتم 1 بأرض العجاشة ؟ " . قال فتية منهم : يا رسول الله ، بينما نحن جلوس إذ مررت علينا عجوز من عجائز رهابنا لهم ، تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمررت بيقني منهم ، فجعل إحدى يديه بين كتفيهما ، ثم دفعها فخررت على ركبتيها ، فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت التفت إليه ، فقالت : سوف تعلم يا عذر إذا وضع الله عز وجل الكرسي ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، سوف تعلم كيف أمرني وأمرك . قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صدقت ، ثم صدقت ، كيف يقدس الله عز وجل قوما لا يؤخذ من شدیدهم " . رواه ابن ماجه والطبراني وغيره والحديث له شواهد وهو مرفوع لضعيفهم ؟ !

وجه الدلالة من الحديث

أن الله عز وجل سوف يحكم بين العباد يوم القيمة في الكثير والقليل ، وأن المظلوم سوف ترد إلى أهلها .

وأما المراد من قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تطهر أمة من الذنوب لا يتصف لضعيفها من قويها " فيما يلزم من الحق له ، فإنه يجب نصر الضعيف حتى يأخذ حقه من القوي ، كما يؤيده حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما.

- وعن عروة بن الزبير : (أنَّ امْرَأَةً سرقت فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ ، فَفَزَعَ قَوْمُهَا إِلَى 2 أَسَامِةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ . قَالَ عَرْوَةُ : فَلَمَّا كَلَمَهُ أَسَامِةُ فِيهَا تَلَوْنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ) أَتَكُلَّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حَدُودِ اللَّهِ) . قَالَ أَسَامِةُ : اسْتَغْفِرُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ خَطِيبًا ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : (أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا أَهْلُكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ : أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقُوا إِذَا سَرَقُوا فِيهِمُ الْمُضَعِّفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ أَنْ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقْطَتُ يَدَهَا) . ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَلْكَ الْمَرْأَةِ فَقَطَّعَتْ يَدَهَا ، فَحَسِنَتْ تَوْبَتْهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجَتْ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ) رواه البخاري ومسلم واللّفظ للبخاري

وجه الدلالة من الحديث

أن النبي صلى الله عليه وسلم وكل من الله عز وجل للقضاء بين الناس ، بما شرع الله به من شرع وإقامة حدود ، كما أن من العدل أن يقضى القاضي ويقيم حد الله عز وجل على الشريف والضعيف ، ولا يفرق بينهما حتى لا تهلك الناس ويضيع الحق بينهم .

الحكم والقضاء والتشريع

إن كلمة الحكم تأتي في كتاب الله بمعنى القضاء ، أو التشريع

الحكم بمعنى القضاء:

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكُمْ هُمُ) قوله تعالى كما في

(المائدة 44: الكافرون

قال أهل العلم أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة ، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً: إما مجازياً، وإما كفراً أصغر، على القولين المذكورين.

وذلك بحسب حال الحاكم :

فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب ، وأنه مخير فيه ، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله ، فهذا كفر¹. أكبر.

قال الشيخ أحمد شاكر : " وهذا مثل ما ابتلي به الذين درسوا

القوانين الأوربية من رجال الأمم الإسلامية ونسائها أيضاً !

والذين أشربوا في قلوبهم حبها والشغف بها والذب عنها ،

وحكموا بها ، وأذاعوها بما ربووا من تربية أساسها صنع

المبشرين الهدامين أعداء الإسلام ، ومنهم من يصرح ،

ومنهم من يتوارى ويكاندون يكتونون سواء فإننا لله وإننا إليه

راجعون " انتهى .

وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة ، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة ، فهذا² عاصٍ ، ويسمى كفراً مجازياً ، أو كفراً أصغر.

- وإن جهل حكم الله فيها ، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطاؤه ، فهذا مخطئ ، له أجر على³ اجتهاده ، وخطوه مغفور.

الحكم بمعنى التشريع:

وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَحْكُمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ ،) : قَوْلُهُ تَعَالَى أَمَا الْمَعْنَى الثَّانِي لِلْحُكْمِ فَهُوَ الَّذِي بِمَعْنَى التَّشْرِيعِ وَمَثَلُهُ حُكْمًا

(المائدة : 50 لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

فالآلية تتحدث عن حكم الله أي شرعته ومنهجه في مقابل حكم الجاهلية.

قال ابن كثير : " يذكر تعالى على من خرج على حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله " تفسير ابن كثير وقال أيضاً: " بل نقل الإجماع على كفر من اتخد شريعة غير شريعة الله يتحاكم إليها " البداية والنهاية.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم : " من الكفر الأكبر المستعين تنزيل القانون اللعين متزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المندرين بلسان عربي مبين في الحكم بين العالمين والرد إليه عن تنازع إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ شَيْءٌ فَرُدُوا إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ فِي فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُتَنَازِعِينَ مُنَاقِضَةً وَمُعَانِدَةً (النساء : 157) وَالْيَوْمُ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنَ تَأْوِيلًا

وقد نفي الله سبحانه وتعالى الإيمان عنمن لم يحكموا النبي صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم نفياً مؤكداً بتكرار فَلَا وَرَبِّكَ لَلَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَلَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ) : . قال تعالى أدلة النفي ، وبالقسم (النساء : 65) انتهي. حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلیماً

نزلت في الزبير بن العوام وخصمه حاطب بن أبي " : قلت
بلغة، وقيل: هو ثعلبة بن حاطب.

أخبرنا أبو سعيد بن عبد الرحمن بن حمدان، قال: أخبرنا
أحمد بن جعفر بن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل،
قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو اليمان، قال: حدثنا شعيب
عن الزهرى، قال: أخبرنى عروة بن الزبير، عن أبيه:
أنه كان يحدث: أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدرأاً،
إلى النبي صلى الله عليه وسلم، في شراج الحرّة كانا يسقيان
بها كلاهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير: اسقِ ثم
أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله أنْ

كان ابن عمّتك! فتلّون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال للزبير: "اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر"
فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه. وكان
قبل ذلك اشار على الزبير برأي أراد فيه سعة لأنصاره ولهم
فلما أحفظ الأنصاري رسول الله استوفى للزبير حقه في صريح الحكم.
قال عروة: قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا في
ذلك ". انتهى
والحديث بقية

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفدر
تاريخ النشر : 01/08/2015
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفدر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com